TITOLO =

المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم

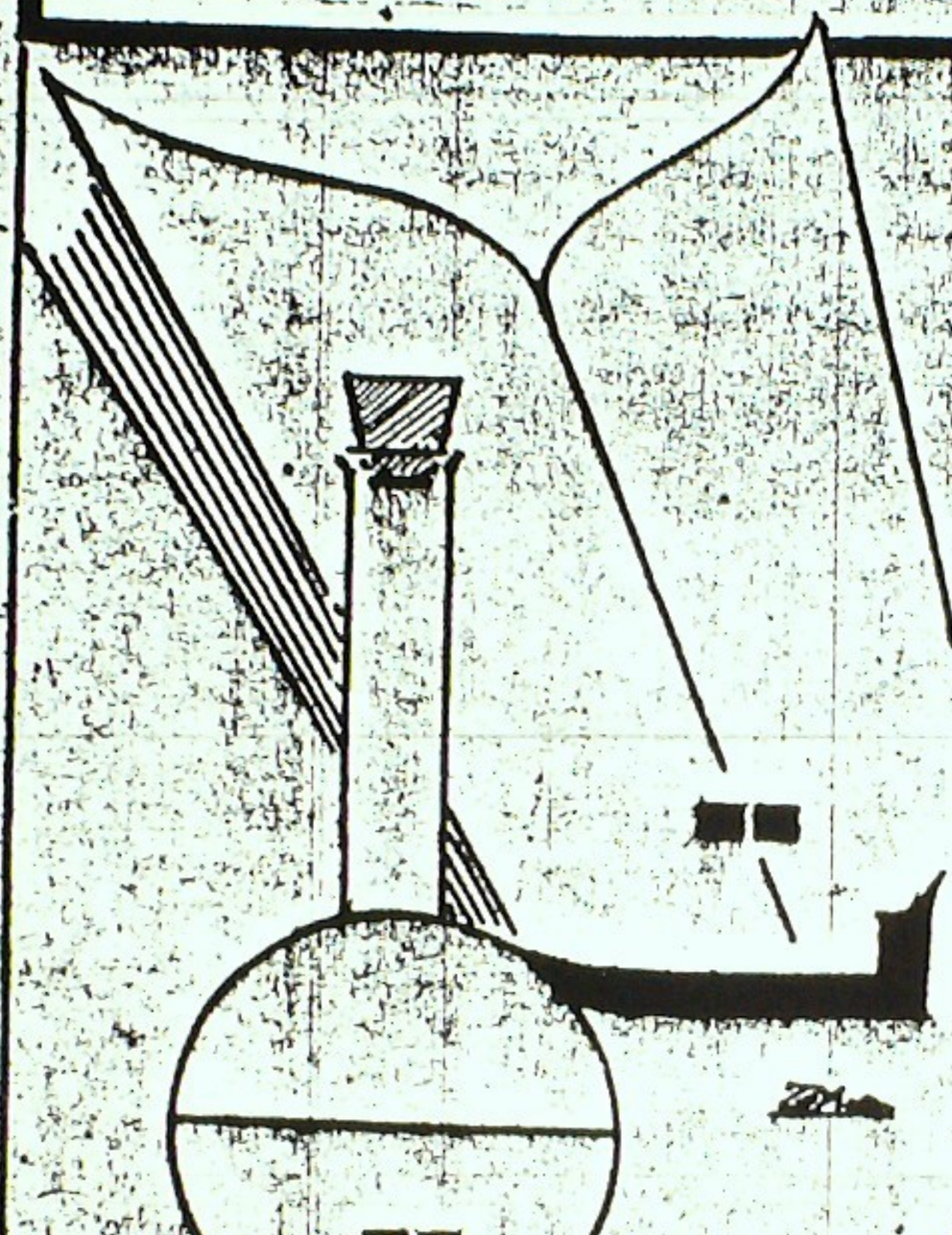

شهريات في الثقافة العربية

يصدرها :
المكتب الاقليمي لشرق افريقيا بمقديشو

العدد رقم ١٦ التاريخ ١٥/٤/١٩٨٤

: ولد الشيخ حسن برسلة فى سنة ١٨٥٣م فى مدينة (أبادى) احدى نواحى مدينة جوهر من أسرة الصومالية ذات دين وفروسية • وقد حفظ القرآن فى بلدة وهو حديث السن ، ثم درس التفسير والحديث والفقه والعلوم العربية فى بلدة " مربرى أوحسن " احدى قرى أفجوى على يد أحد كبار العلماء حتى تتبحر فى ذلك ثم عاد الى بلدته "أبادى" لنشر العلم فأسس بلدة أخرى تسمى " مبارك جلياله " و وأصبحت هذه البلدة بمنزله الجامعة العلمية يقصدها كل صومالى متعطش للمعرفة •

ثم توجه الشيخ الى بيت الله الحرام لاداء فريضة الحج فالتقى هناك بأكابر العلماء فى مكة المكرمة ، فنقل اليهم أخبار الصومال ونشاطهم الدينى ، وقد عزم على بناء بيت فى مكة المكرمة للضيافة • وبعد أن أنجز شيخ حسن بناء ذلك البيت فى مكة صار معروفا فى البلاد العربية كما كان معروفا فى جميع أنحاء الصومال •

حروبه : حروبه مع الاحباش فى أوائل عام ١٩٠٥م بدأت قوات الحبشة التى استولت من قبل على الصومال الغربى تهاجم المناطق الصومالية الأخرى ، فهب الشيخ للدفاع عن وطنه ، فدارت المعارك العنيفة بين الفريقين فى قرية " جلياله " ، انسحب الاحباش بعدها الى بلدوين ، وهناك التقى الجيشان مرة "ثانية فهزم الحدو شر هزيمة •

حروبه مع ايطاليا : بعد احتلال الايطاليين لصوماليا فى أواخر القرن التاسع عشر لم يخضع الشيخ لحكمهم فبهذا أرسلت ايطاليا رسالة الى شيخ حسن برسلة تدعوه الى الخضوع لحكمها • فرفض ذلك وقال : لا يمكن أن أتعاون الغاصب لوطنى الكافر بدينى فضلا عن الخضوع له ، فعليك أن تبحث عن أناس يبيعون دينهم ووطنهم بثمن بخس أما أنا فبينى وبينك السلاح •

وقد أعد الشيخ جيشا قويا منظما مسلحا بأسلحة كان يشتريها من اثيوبيا وايطاليا نفسها اذ كانت تحطى له السلاح قبل التصادم معها لاستمالته اليها •

وكان الشيخ يحث جيشه على القتال فيقول : " يا أبناء الاسلام أتقبلون أن يدخل الكفار دياركم يتمتع بخيراتها ، وأنتم محرومون منها •

وأن تنتهك حرماتكم وتهان مقدساتكم وأنتم رجال وتصبروا غرباء فى وطنكم والعدو يتمتع به ، هل ترضون أن تفقدوا حريتكم التى أغلى شىء فى الحياة ؟ أيها الصوماليون الاحرار أتقبلون أن تكونوا أذلاء بعد أن كنتم أعزاء فوالله لا تقبل الظلم والاستعباد ، وفينا قطرة دم ، فلما رأى العدو موقف الشيخ حاول ان يأ ال.. طريقة الخداع بالترغيب مرة والترهيب مرة أخرى •

ولد الشيخ حسن برسلة فى سنة ١٨٥٣م فى مدينة (أبادى) احدى نواحى مدينة جوهر من أسرة الصومالية ذات دين وفروسية . وقد حفظ القرآن فى بلدة وهو حديث السن ، ثم درس التفسير والحديث والفقه والعلوم العربية فى بلدة " مريرى أوحسن " احدى قرى أفجوى على يد أحد كبار العلماء حتى تتبحر فى ذلك ثم عاد الى بلدته "أبادى" ونشر العلم فأسس بلدة أخرى تسمى " مبارك جلياله " و وأصبحت هذه البلدة بمنزله الجامعة العلمية يقصدها كل صومالى متعطش للمعرفة .

ثم توجه الشيخ الى بيت الله الحرام لاداء فريضة الحج فالتقى هناك بأكابر العلماء فى مكة المكرمة ، فنقل اليهم أخبار الصومال ونشاطهم الدينى ، وقد عزم على بناء بيت فى مكة المكرمة للضيافة . وبعد أن أنجز شيخ حسن بناء ذلك البيت فى مكة صار معروفا فى البلاد العربية كما كان معروفا فى جميع أنحاء الصومال .

حروبه مع الاحباش فى أوائل عام ١٩٠٥م بدأت قوات الحبشة التى استولت من قبل على الصومال الغربى تهاجم المناطق الصومالية الأخرى ، فهب الشيخ للدفاع عن وطنه ، فدارت المعارك العنيفة بين الفريقين فى قرية " جلياله " ، انسحب الاحباش بعدها الى بلدوين ، وهناك التقى الجيشان مرة "ثانية فهزم العدو شر هزيمة .

حروبه مع ايطاليا : بعد احتلال الايطاليين لصوماليا فى أواخر القرن التاسع عشر لم يخضع الشيخ لحكمهم فبهذا أرسلت ايطاليا رسالة الى شيخ حسن برسلة تدعوه الى الخضوع لحكمها . فرفض ذلك وقال : لايمكن أن أتعاون الغاصب لوطنى الكافر بدينى فضلا عن الخضوع له ، فعليك أن تبحث عن أناس يبيعون دينهم ووطنهم بثمن بخس أما أنا فبينى وبينك السلاح .

وقد أعد الشيخ جيشا قويا منظما مسلحا بأسلحة كان يشتريها من اثيوبيا وايطاليا نفسها اذ كانت تحطى له السلاح قبل التصادم معها لاستمالته اليها .

وكان الشيخ يحث جيشه على القتال فيقول : " يا أبناء الاسلام أتقبلون أن يدخل الكفار دياركم يتمتع بخيراتها ، وأنتم محرومون منها .

وأن تنتهك حرماتكم وتهان مقدساتكم وأنتم رجال وتصبروا غرباء فى وطنكم والعدو يتمتع به ، هل ترضون أن تفقدوا حريتكم التى أغلى شىء فى الحياة ؟ أيها الصوماليون الاحرار أتقبلون أن تكونوا أذلاء بعد أن كنتم أعزاء فوالله لا تقبل الظلم والاستعباد ، وفينا قطرة دم ، فلما رأى العدو موقف الشيخ واتباعه لجأ الى طريقة الخداع بالترغيب مرة والترهيب مرة أخرى .

فأرسل قائد جيش العدو فى أواخر ١٩٢٣م لجنة الى الشيخ يطالبه
تخلى عن حرب ايطاليا وأنه اذا فعل ذلك فستكفل ايطاليا له ولأولاده المال
لجاه . فرفض الشيخ هذا العرض وقال " قولته المشهورة " لاأبيح وطنى ودينى
هذا العرض الرخيص ، أنا لى كل شئ ما دمت حرا فى وطنى ولن ألقى السلاح
ى ولو بقيت وحدى فى المعركة .
فعند ذلك أعلن قائد جيش العدو الحرب وأرسل تهديدا الى الشيخ يخوفه
كثرة جيشه وعدته فرفض الشيخ التهديد كما رفض الترغيب من قبل ، وقال "
تفخر بكثرة جيشك وعدتك " فكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله ". فكانت
لحرب بين وقتين غير متكافئتين والتقى الجيشان فى أوائل سنة ١٩٢٤م فى حرب
هوادة فيها ، وكان الشيخ يقود بجيشه بنفسه . فقتل عدد كثير من العدو حتى
ضطر العدو الى طلب امدادات كثيرة ، ولكن بعد عدة معارك طويلة وعنيفة تمكن
العدو انقبض على الشيخ حسن برسنة بعد أن حرقوا عدة قرى مثل " مبارك جلياله
وعيل طير " وهاد فول " وسيخالى " وذلك فى أواخر عام ١٩٢٤م ، وقد فرح العدو
بذلك طلبوا من الشيخ ان يأمر جيشه بتسليم الاسلحة التى فى حوزتهم فأبى ذلك وقال
لن آمرهم بتسليم بندقية واحدة . مهما كان الثمن فان شئتم عذبونى ، فالتعذيب
فى سبيل المبدأ والعقيدة ، والوطن يهون وعندئذ نظروه الى مقديشو وادخلوا
السجن الكبير المعروف " بجال شرى " وأذاقوا أصنافا من التعذيب والتنكيل ،
ومع ذلك لم يخضع الشيخ ارادتهم ، بل كان يراسل جيشه سرا بعدم القاء السلاح
وبعدم الخضور للعدو الناصب مهما كلفهم الامر .

ولما أيقن العدو أن التعذيب لايزيد الشيخ الا اصرارا وتمسكا بوطنه ودينه
رغم استمرار سجنه من سنة ١٩٢٤ـ١٩٢٦م لجأ العدو الى أسلوب آخر عسى
أن يجنى ثماره ، وفى آخر سنة ١٩٢٦م أرسل العدو الايطالى اليه وفدا من
أعيان البلد ورئيس المبشرين ليتفاوضوا معه وهو لايزال رهين السجن .
فكان مما عرضوا عليه أن يأمر الشيخ جيشه بالكف عن القتال وبالقاء الاسلحة
ويتعهدون له المناصب العالية والاموال الطائلة والافراج عن السجن ، فرفض
الشيخ هذا العرض رفضا باتا ثم قال للوفد عودوا الى وليكم وقولوا له :"
ارجع الى وطنك واترك الصومال ووطنهم ، ولن أرضى الا بحرية وطنى الا
فلا سلام بيننا أيها المستعمر الكافر بل سنقاتل حتى آخر قطرة من دمائنا ، ومن
هناك يئس العدو وفشلت جميع وسائله فارتكب آخر جريمته الشنيعة فزج الشيخ
المكافح فى حجرة ضيقة مسمومة وعذب حتى قضى الشيخ نحبه بعد أن خلف
وراءه تاريخا حافلا وضرب مثلا رائعا فى التضحية والفداء للاجيال القادمة .
وقد خلدته ثورة ٢١ أكتوبر المجيدة باطلاق اسمه " الشيخ حسن برسنة على مدرسة
[illegible] أطلق عليه شرف الوطن

/ تاريخ الصومال من مصادر عربية /

في مساء الاثنين ١٩٨٢/٣/٢٩ قدم السيد / محمد حاج مختار الاستاذ بالجامعة الوطنية الصومالية محاضرة بدار المكتب الاقليمي أبرز فيها اهتمام الكتاب والرحالة العرب المسلمين ببلاد الصومال . ورغم تعدد زوايا الموضوع وتشعب مداخله استطاع أن يؤكد وجود ذاك الاهتمام ، وان الصوماليين أنفسهم كانوا يستخدمون اللغة العربية كأداة وحيدة لتسجيل تاريخهم والمتغيرات التي طرأت في حياتهم وفيما يلي تقدم الخطوط العريضة لتلك المحاضرة والتي كانت بعنوان :

تاريخ الصومال من مصادر عربية

معالم رئيسية في التاريخ الصومالي

تأثر الصومال - كغيره من البلاد - بالحضارات العالمية القديمة التي عاصرها خاصة تلك التي قامت في الشرق الأوسط والبحر الأبيض المتوسط . وتبدأ علاقاته بها منذ أزمان غابرة .

اتصل الصومال وطور علاقات حسنة مع دولة (طيبة) المصرية الفرعونية ، وقد جرى تبادل زيارات بين البلدين منذ عهد الأسرتين الرابعة والخامسة المصريتين حوالي ٢٤٧٠ قبل الميلاد في صورة رحلات ، أهمها الرحلة التي تمت في عهد الملكة (حتشبسوت) الى بلاد (بنت) في عهد الأسرة الثامنة عشرة .

كذلك نمى الصومال علاقات تجارية مع الهند وبلاد فارس وشبه الجزيرة العربية خاصة مع الحضارمة والعمانيين الذين استقلوا بنشاط كبير في نقل البضائع من الشرق الأقصى حتى ساحل المحيط الهندي ، بمحاذاة الجزيرة العربية الى مدخل البحر الأحمر ثم الى السويس أو العقبة .

ومن السويس والاسكندرية كانت البضائع تنقل الى الموانئ الأوربية أو تنقل اليها أحيانا عبر الشام أو عن طريق خليج فارس عبر نهري الفرات ودجلة .

هذه هي الطرق التي كانت تستخدم في الحركة التجارية بين الشرق والغرب . غير أنه من الثابت أن العرب بما عرفوا به من صبر وجلد وابتكار وخلق وابداع لم يقصروا نشاطهم على نقل السلع الشرقية فقط

ا يشمل على اختيار مواقع تصلح محطات لتموين السفن وتخزين السلع ، مؤسسين
مديا على الساحل الشمالى للصومال والمطل على خليج عدن •
كان للبحرانيين والعمانيين نشاط تجارى ملحوظ عبر المحيط الهندى قام
اساس جغرافى ، فقد اعتمد على حركة الرياح (تيارات الهجرة شتاء وصيفا
ع شكل السواحل والظهير • وتبع النشاط التجارى الاستيطان الساحلى الذى
ثقافة مميزة المعالم أخذت من كل من الشعبين العربى والصومالى بنصيب •
ما التقى الاوربيون بهذه الثقافة بعد ١٥ قرنا كانت قد تبلورت ونضجت
وجاء الاسلام فساعد على خروج العرب من حيرتهم بدعمهم حماس دينى
ع النظم • وتأسست الدولة الاسلامية الأولى على يد الرسول صلى الله عليه
فى المدينة المنورة ثم امتدت تدريجيا شمالا وشرقا وغربا

ودخل الصوماليون فى الدعوة الاسلامية الجديدة بلا حرب أو قتال فكانوا
رأى بعض الباحثين اسبق من غيرهم افارقة وآسيويين فى هذا المضمار
م عندما اعتنقوا الاسلام لم تكن الدعوة قد وصلت الى المدينة المنورة ذاتها
تمت الهجرة الأولى الى الحبشة فى وقت كان المسلمون فيه لا يزالون فى مكة

وبمرور الزمن ، ونتيجة للقرارات السياسية التى شهدتها الدولة الاسلامية
انتهاء عهد الخلافة الراشدة خاصة فى عهد الدولة الأموية حدثت هجرات
ة من شبه الجزيرة الى الساحل الشمالى تسللت الى داخل القارة واختلطت
كان الاصليين • وكان لهؤلاء المهاجرين فضل كبير فى نشر الاسلام ونقل
نارة الى الصومال حيث تولى المواطنون نشر الدعوة فيما كانت طبيعتهم من ديار •
د العصر الاسلامى من أزهى عصور التاريخ الصومالى فقد شهدت الصومال
دولا وامارات اسلامية قوية عرفت بدول الطراز الاسلامى مثل هرر وزيلع
مما و بها امتدت رقعة الاسلام شمالا فهزت أوتاد دولة (أكسوم) الحبشية
حدود المحميات الاستوائية •

هذه عجالة سريعة حول المعالم الرئيسية فى التاريخ الصومالى منذ
م الزمان حتى قبيل عصر الكشوف الجغرافية وبداية الاستعمار الأوربى حين تدخل
طقة مرحلة جديدة يتكمش فيها الدور العربى ويضعف .. هذه الوقفة التاريخية
رة توضح أن للصومال تاريخا طويلا كغيره من الاقليمات العربية وأن فى

الصومال معالم أثرية بارزة تسند ما وراءها من حقائق التي لما تمسسها يد الباحثين بالطريقة العلمية المنهوضة .

ثمة نقطة هامة تستوقفنا وهي أن الصوماليين القدماء لم يكتبوا تراثهم . هذه النقطة تثير سؤالا هو: أين مصادر هذا التاريخ الحافل بالآثار والممتد من العصور القديمة والى اليوم؟ وأين يمكننا أن نستقي المادة العلمية طالما أن اللغة الصومالية لم تكتب الا منذ العشر سنين الأخيرة ؟

كتابة التاريخ الصومالي باللغة العربية

كتب السلف من الصوماليين تاريخهم وسجلوا تراثهم باللغة العربية التي تشكل جزءا هاما من تراثهم القومي .

منذ عهد بعيد كانت اللغة العربية هي النافذة التي يطل منها الصوماليون على العالم الخارجي ، وكان ولا يزال تعلمها شغل أساسي للصبية والشبان مرورا بأداء الصلوات والأدعية في المساجد والزوايا التي يقوم بالتدريس فيها في المعاملات المقننة . وقد انتشرت في البلاد مراكز تعليمها التي كان يؤمها الطلاب من كل فج عميق في (بارطيره) و (هرجيسا) و (مقديشو) و (براوة) وغيرها . وقد ذاب خريجو هذه المراكز على مواصلة تعليمهم في مكة والمدينة بالحجاز وبغداد في العراق في الشام ، والقاهرة في مصر ثم يرجعون بحماس ديني عظيم لحمل أمانة نشر الاسلام .

ان مراكز تعليم اللغة العربية في الصومال كانت هي المصدر الاساسي الذي انطلق منه علماء ذوو مستوى ممتاز من المعرفة والقدرة على التأليف والكتابة في مختلف العلوم والفنون .

وليست ثمة مبالغة اذا قلنا ان العربية كانت هي اللغة الرسمية للبلاد وقبل أن تحاول — بانجاز استخدمت وسيلة للتعليم واداة لتصريف الامور الدينية والاخروية .

دور الصوماليين في ميدان الكتابة بالعربية نحاول أن نلقي بعض الأضواء على كتابات من سبقهم من العرب المسلمين حول الصومال .

تاريخ الصومال من مصادر عربية

منذ أن بدأ العرب يدونون تاريخهم وتراثهم اتجهوا نحو الصومال واعطوه اهميته من منطلق وحدة التاريخ القديم والواقع والمصير . والمصادر العربية في هذا الصدد كثيرة ومتنوعة ولا يسعنا حصرها هنا لذلك سنهتم بالاشارة الى بعضها فقط .

ومن أهم هذه المصادر الموسوعة التاريخية الجغرافية للعلامة العربي أبي الحسن علي بن علي بن الحسين المسعودي المعروفة بـ (مروج الذهب ومعادن الجوهر) وقد زار المسعودي الصومال عدة مرات كان اخرها بتاريخ ٣٠٦هجرية (٩١٧م) • يقول المسعودي وهو يتحدث عن بحر الصومال وامتداده : " ليس في المعمورة أعظم من هذا البحر وله خليج متصل بأرض الحبشة " ولعله يقصد البحر الأحمر " يمتد الى ناحية بربرى " أي مدينة بربرة المعروفة حاليا " من بلاد الزنج ويسمى الخليج البربرى" • ثم يوضح أكثر من ذلك فيعرف البرابرة بأنهم أناس آخرون غير موجودين في القرن الافريقي : " وليست هذه بربرى التي •• ببلاد البرابرة التي في بلاد المغرب " في شمالي افريقيا ويطلق عليهم هذا الاسم • وفي مكان آخر يقول : " وبلاد حافون أكثر مسافة مما ذكرنا "' وحفون مدينة صومالية معروفة تقع في أقصى الشمال الشرقي للصومال يذكرها المسعودي في القرن الثالث الهجرى ولا زالت تعرف بنفس هذا الاسم الى اليوم • ويتوسع المسعودي في مكان آخر فيصف أمواج بحر الصومال وأن " موجه عظيم كالجبال • وهؤلاء القوم الذين يركبون هذا البحر يرتجزون "•

ومن العلماء العرب الذين تناولوا الصومال في كتاباتهم الجغرافي الكبير الادريسي وهو من علماء القرن الخامس الهجرى في كتابه (نزهة المشتاق ••) تكلم الادريسي عن جغرافية الصومال : أنهارها ووديانها وطبائع أهلها وأنماط حياتهم ومعتقداتهم وأشار الى مواقع مدنها الرئيسية وأطلق ـ مثلا ـ على مدن (مركة) و (براوة) اسم مدن البرابرة وذكر أن ساحل بنادر يمتاز بمدن عديدة متناثرة • وساحل بنادر معروف أنه يمتد من مدينة (ورشيخ) شمال (مقدشو) حتى (كسمايو) •

وما دمنا بصدد الحديث عن المصادر العربية في التاريخ الصومالي لا نستطيع أن نغفل الاشارة الى الموسوعة المعروفة بـ (معجم البلدان) للعلامة ياقوت الحموى الذى وصف في موسوعته هذه الصوماليين بأنهم ذوو وجوه وأشكال سوداء و " ان هذا القوم لهم لغتهم الخاصة ••• ويحمل الصوماليون لغتهم على رؤوسهم " ايماء بأنها لغة غير مكتوبة • وتمتاز الموسوعة بذكر مراكز البر الاسلامي ومواقعها وقد عدد الحموى مدنا صومالية كثيرة أهمها (زيلع) وأن زيلع " هم جيل من السودان في طرف أرض الحبشة وهم مسلمون ولغتهم تعرف بالزيلع وهي قرية تقع على ساحل البحر من ناحية الحبشة "• ويصف الحموى الصوماليين بالبرابرة أيضا في قوله " ان البربرة طائفة من السودان بين

بلاد الزنج وبلاد الحبش " . وكأن الحموى يحاول أن يحدد موقع الصومال الجغرافى وتحديده الذى وضعه يشبه الحدود الحالية للصومال ، فهو يقع بين الحبشة والمحيط الهندى ومن وراء الحدود حتى البحر الأحمر . ويشير الى نوع المساكن قائلا " .. هم طوائف يسكنون البرية فى بيوت يصنعونها من الحشيش " وهذا وصف دقيق لما زالت عليه فمعظم الصوماليين - الى يومنا هذا - مازالت مساكنهم تصنع من الحشيش . وتتحدث الموسوعة عن مدينة (مقدشو) وأن " مقدشو بالفتح ثم السكون .. مدينة فى أول بلاد الزنج فى بر البربر . وهؤلاء البربر غير البربر الذين هم بالمغرب هؤلاء سود يشبهون الزنوج جنس متوسط بين الحبش والزنوج وهى مدينة على ساحل البحر " . ثم يتناول الحموى نوع الحكم والأنظمة التى كانت سائدة فى الصومال فى عصره فيقول : " .. اذا يدبر أمرهم المتقدمون على اصطلاح لهم " بمعنى أنهم يولون أمورهم كبار القوم . وفى مكان آخر يشير الى حسن ضيافة الصوماليين وطيب معاشرتهم للغرباء اذ هم يصرون على الصيف القادم أن ينزل على واحد منهم . وفى معرض حديثه عن اقتصاديات البلاد يؤكد أن " .. منها يجلب الصندل والآبنوس والعنبر والعاج " .

أما الدمشقى - وهو شمس الدين أبو عبد الله محمد الدمشقى من علماء القرن السابع الهجرى - فيعتبر أحسن من تناول العلاقة التجارية بين مدن الصومال وجزر المحيط الهندى والخليج العربى فى كتابه (تحفة الذهب فى عجائب البر والبحر) يقول : " جزر ابيا - " يريد بها جزر (المالديف) حاليا " هى مقابلة ومنها جزيرة .. بها الموز وقصب السكر .. وهى مقصد التجار فى ممرهم الى الهرمز والى الهند والى اليمن والى مقدشو الزنج والى الحبشة " . ونلاحظ هنا أنه - أى الدمشقى قد سمى (مقدشو) بمقدشو الزنج والزنوج كانوا يسكنون فى مكان آخر لكن كانت مقدشو المدينة العظمى التى يقصدونها والتى يأتيها التجار من سائر الأمصار بما فيها بساحل زنجبار . ويمضى متعرضا للجانب الشمالى من الصومال قائلا : " بساحل زنجبار وأرض الزيلع ثم فى أرض أوقل .. يخرج رجل .. مكانه من أوقل وعدن " وفى هذا اشارة الى امبراطورية (أوقل) الصومالية القديمة التى عرفت فى بعض الأحيان بدولة زيلع .

وينفرد ابن بطوطة ، محمد بن عبد الله بن محمد بن ابراهيم الطنجى ، بين رحالة عصره بغزارة مادته الجغرافية التى طعمها بحلاوة العارفين . وقد وصف ابن بطوطة المدن الصومالية وصفا بديعا حين تحدث عن معتقداتهم ومذاهبهم وطبيعة

بلادهم وثرواتهم الاقتصادية فى كتابه (تحفة النظارة ٠٠) يشير الى مدينة زيلع بأنها "٠٠ هى مدينة البربرة وهم طائفة من السودان شافعية المذهب وبلادهم ٠٠ اولها زيلع وآخرها مقدشو ومواشيهم الجمال ولهم أغنام مشهورة السمن وأهل زيلع سود الالوان وهى مدينة كبيرة لها سوق عظيمة "٠ وفى وصف مدينة مقدشو يقول ابن بطوطة " انها مدينة متناهية فى الكبر " تزخر بثروة حيوانية هائلة من جمال وأغنام ولها مصانع للنسيج تصدره الى مصر فيها تصنع الثياب المنسوبة اليها ، أى الثياب المقدشية ٠ وفى حديثه عن عادة المقدشيين فى اكرام الضيف يقول " ومن عادة أهل هذه المدينة أنه متى وصل مركب الى المرسى تصعد الصنادق " والصنادق هى القوارب الصغيرة " اليه ويكون فى كل صندوق جماعة من شبان أهلها فيأتى كل واحد منهم بطبق مغطى فيه الطعام يقدمه لتاجر من تجار المركب ويكون هذا نزيله وكذلك يفعل كل واحد منهم ولا ينزل التاجر من المركب الا الى دار نزيله الا من كان كثير التردد الى البلد وعرف أهلها فانه ينزل حيث شاء واذا كان القادم عالما أو فقيها فهو ينزل عند القاضى ،واذا كان طالبا فستضيفه دار الطلبة وهى دار معدة لزيارة الطلبة "٠ ويتناول نوع الحكم أيضا فى هذه المدينة مشيرا الى الدقة التى تراعى فى موائدها ومراسيمها ٠ يقول : " ٠٠ وسلطان مقدشو اذا يقولون له الشيخ وهو فى الاصل من البربرة وكلامه بالمقدشى " أى الصومالية " ويعرف اللسان العربى ومن عادته أنه متى وصل مركب يصعد اليه صندوق السلطان فيسأل من المركب من أين قدم ومن صاحبه ومن ربانه ومن فيه من التجار وغير ذلك "٠ ويعز ابن بطوطة تمجيد المقدشيين لسلطانهم وخاصة يوم الجمعة بعد أداء صلاتها وكيف أن الوزراء والأمراء ووجوه الأجناد يأتون لتحيته فى صحن المسجد وعند خروجه الى داره يصطف أمراء الأجناد أمامه وخلفه القاضى والفقهاء والشرفاء وتضرب الطبول ويظل الجمع فى بيته حتى أداء فريضة العصر بعدها يأتى جميع الأجناد ويقفون صفوفا على قدر مراتبهم وتطلق الأبواق عندئذ لا يتحرك أحد ولا يتزحزح من مقامه ومن كان ماشيا وقف ولم يتحرك الى خلف ولا للأمام ٠ وعن أسلوب النظر فى أمور الرعية يقول : " يدخل الشيخ " يعنى السلطان " الى داره ويقف القاضى والوزراء وكاتب السر وأربعة من كبار الأمراء للفصل بين الناس وأهل الشكايات ٠ فما كان متعلقا بالأحكام الشرعية حكم فيه القاضى وما كان من سوى ذلك حكم فيه أهل الشورى وهم الوزراء والأمراء وما كان مفتقدا الى مشاورة السلطان كتبوا اليه فيه فيصل لهم الجواب من حينه على ظهر بطاقة بما يقتضيه الموقف "٠

الاسلامية بوضع كتابه (المجموعة المباركة) والذى رد فيه على المردة الملحدين • وقد أبلى الشيخ بلاء حسنا فى الدفاع عن عقيدة أهل السنة والجماعة التى يعتنقها الصوماليون ويشتمل الكتاب أيضا على فصول عن أصول الصوماليين وسلاسل انسابهم وعاداتهم وتقاليدهم وبين كتاب السير والتراجم بتراس الشيخ عبد الرحمن بن الشيخ عمر قائمة هذه المجموعة • فقد حاول أن يضع كتبا فى سير وتراجم بعض الشخصيات الصومالية خادمة العلماء وروّاد الطرق الصوفية ، وله كتاب يعرف بـ (الجوهر النفيس فى خواص الشيخ أويس) • وهذا الكتاب الى جانب أنه يبحث فى سيرة الشيخ أويس الا أنه يعد فى ذات الوقت مرجعا للكيفية التى انتشرت بها الطريقة القادرية فى ربوع الصومال وقد حوى معظم القصائد التى وضعها الشيخ أويس بالعربية والصومالية ويلاحظ القارئ أن قصائد الصومالية قد كتبت بالحروف العربية ••• وللشيخ عبد الله بن معلم كتاب آخر على هذا النمط يسمى (جلاء العينين فى مناقب الشيخين) وهما الشيخ أويس القادرى والشيخ عبد الرحمن الزيلعى • والزيلعى الى كونه كانيا ولد بها كان صاحب طريقة صوفية عرفت بالزيلعية • والكتاب المذكور يعطينا معلومات دقيقة وقيمة عن مناقب هذين الشيخين وفلسفتهما فى نشر طريقتيهما : القادرية والزيلعية •

وما دمنا بصدد الحديث عن دور الصوماليين فى كتابة تاريخهم بالعربية لابد أن نشير الى كتاب عميق يعرف بكتاب الزنج عثر عليه فى جزر (الباجونى) قرب مدينة (كسمايو) • ومما يؤسف له أننا لم نستطع حتى الآن التعرف على واضعه وسنة كتابته • وهو مخطوط يتفرد بأنه الكتاب الوحيد الذى يشتمل على معلومات قيمة عن العلاقة العربية الصومالية منذ ظهور الاسلام • وعن مجيء مجنود من الدولة الاسلامية فى القرن الأول الهجرى يذكر الكتاب أن (" فى تاريخ سنة خمس وسبعين جاؤا " أى العرب " وهم جنود من أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان قاصدين الى ساحل البحر الهند فوصلوا الى مقدشو وأرادوا الخراج من أهل البلاد وكان لهم أمير يقال له موسى بن زبير الخثعمى •• " وفى مكان آخر وهو يتناول العلاقة بين الصومال والدولة العباسية يقول : " وفى تاريخ سنة تسع وأربعين ومائة هجرية جاءوا من الدولة العباسية الى السلاطين فى مقدشو وظلت علاقة الدولة العباسية قوية بهذه البلاد حتى خلافة المأمون " • والى جانب هذا يتحدث الكتاب عن عادات وتقاليد الصوماليين ويمتاز بأنه يحدد موطن بعض القبائل الصومالية •

تكلم بعض مؤرخي العرب عن الصراع الصومالى الحبشى ووقائع الحروب بين مملكة الحبشة النصرانية وملوك الصومال المسلمين وأصحاب (هرر) وبلاد زيلع من بينهم المؤرخ المصرى محى الدين العباس أحمد بن على والقلقشندى . الا أن أعظم كتاب تناول تفاصيل هذا الصراع هو (تحفة الزمان) المعروف بـ (فتوح الحبشة) لصاحبه شهاب الدين أحمد بن عبد القادر بن سالم بن عثمان الجبرتى . يقول : " .. كما أنه وجد فى ملوك الحبشة النصارى من قهر الاسلام .. وقتل وأحرق ودمر كذلك وجد فى أمراء الاسلام هناك من كان لملوك الحبشة بكيلهم وأزيد ومن أشهرهم السلطان سعد الدين الصومالى . وأشهر منه الامام أحمد بن ابراهيم المعروف بالامام الغازى أو أحمد جرى .. " وقد حظى مؤلف هذا الكتاب بتقدير المستشرقين أنفسهم الذين وصفوه بالحيدة والصدق مؤكدين أنه - كمعاصر لهذه الأحداث - كان دقيق الوصف حريصا كل الحرص على اثبات الوقائع قدر المستطاع . وقد حفل الكتاب بذكر غزوات الامام أحمد جرى الذى سماه الفرنجة بـ (صلاح الدين الصومال) لأنه والى الهزائم على الحبشة النصرانية رغم شدة بأس الأحباش وصعوبة مرامسيهم ووعورة جبالهم وكون بلادهم لم يتردد عليها الغزاة . كان أحمد جرى هو الذى أوغل فى قلب بلادهم وسلكهم من نواصيهم واستنزلهم من صياصيهم .. يقول المستشرق الفرنسى رينيه باسيه : ان أشهر دور من أدوار تاريخ الحبشة والذى بقيت أخباره محفوظة فى الأذهان هو دور أحمد (جران) الذى كاد يسحق نصرانية الحبشة ويعيدها كبلاد النوبة . ويمكن أن يقال ان هذا الكتاب يمثل وثيقة نادرة تهم التاريخ كعلم والمؤرخين كعلماء والتراث العربى كذخيرة ينعطف اليها المسلم كلما أراد أن يتصل بأمجاده .

وفى القرن السادس عشر الميلادى دخلت القارة الافريقية دورا جديدا من أدوار تاريخها أختفت سماته عن سمات الأدوار السابقة التى مرت بها . ويرتبط هذا الدور بتسلط القوى الاستعمارية على القارة ونتج عنه ذبول علاقة المسلمين بعضهم ببعض لذلك قلت الكتابات العربية عن الجانب الشرقى من القارة الافريقية وبالتالى ارتبط التاريخ الصومالى بتاريخ أوربا النصرانية .

وظل الوضع على هذا المنوال حتى القرن التاسع عشر الميلادى الذى امتاز بالحركات السلفية الاسلامية نظرا لإفاقة العالم الاسلامى من سباته العميق وانتعاش الكتابات الاسلامية والعربية من جديد .

وكان للمصريين قصب السبق فى هذا الميدان لأنهم حاولوا مَدَّ سيادتهم
معظم الشعوب الاسلامية القاطنة فى القارة الافريقية والجزيرة العربية • وتحتفظ
معيتان الجغرافية والتاريخية المصريتان بتقارير وكتب عديدة من الصومال فى هذا
ن لا يسعنا المجال هنا للدخول فى تفاصيلها •

ر الصوماليين فى كتابة تراثهم وتاريخهم

يلاحظ كما أشرنا سابقا — الى أن الصومال منذ أن إعتنق الاسلام ظل يدون
شئونه باللغة العربية لذلك نستطيع أن نقول ان العربية ظلت الأداة الوحيدة للكتابة
تسجيل فى أمور الدين والأبحاث الأدبية والانسانية • وسنكتفى هنا بالاشارة الى بعض
• الكتب •

: ان خير من ألف فى العلوم الدينية هم فئة العلماء التى هاجرت الى البلاد
ربية طلبا للعلم ومنهم الامام الخطيب فخر الدين عثمان بن على الزيلعى صاحب
ب (تبيين الحقائق لشرح كنز الدقائق) المكون من ستة مجلدات ويعتبر المرجع الوحيد
الفقه الحنفى • والمحدّث الزيلعى جمال الدين عبد الله بن يوسف بن محمد صاحب
ب (نصب الراية فى ذكر أحاديث الهداية) • والشيخ عبد الرحمن الجبرتى جد المؤرخ
سرى الكبير عبد الرحمن الجبرتى •

أما فى ميدان اللغة والأدب فنجد الشيخ عبد الرحمن الزيلعى، فريد عصره .
وضع كتبا عديدة فى (هرر) و (قلنقول) حيث مستواه الأخير الا أن معظم هذه
ب قد ضاعت أو لم تأخذ طريقها الى النشر • ويعتبر كتابه (فتح اللطيف ••) مرجعا
سيا فى علم الصرف • وللشيخ الزيلعى قصائد كثيرة ، ويعتقد أن قصيدته (ربيع العشاق
من أعظم القصائد التى نظمت فى مدح المصطفى عليه الصلاة والسلام •

وفى مجال التاريخ هناك الشريف عيدروس • ولعله أشهر من حاول كتابة
يخ الصومالى باللغة العربية • ويحوى كتابه (بغية الآمال فى تاريخ الصومال)
ومات قيمة ودقيقة عن الملوك والأنظمة الصومالية التى سادت فى البلاد قبل الاسلام
ة قرون • وهو فى كتابه هذا يفند عادات الصوماليين وتقاليدهم ونوع معتقداتهم
يتناول اصلهم وكيف استقروا بموطنهم الحالى وأسلموا •

ولا يفوتنا فى هذا الاستعراض السريع ذكر أعمال القطب الواصل الشيخ عبد الله
علم الذى دافع عن المذاهب الهدامة الوافدة من الغرب ومن بعض الدول